بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الصفحة		
١	مقدمة المنظمة	١.
٢	**تعريف الفكر**	٢.
-	نشأة ومؤثرات	٣.
٣	عناصر ومكونات	٤.
-	**المحور الأول**	A
٤	مفهوم الأمن الفكري	١.
-	دوافع وأسباب	٢.
٥	إشكاليات	٣
٦	بدائل	٤.
-	نتائج	٥.
-	مقومات	٦.
٧	معوقات	٧.
٨	وسائل	٨
-	**المحور الثاني**	B
٩	تشخيص وتحليل	١.
١٠	حقيقة الصراع	٢.
١١	حكمة الذريعة وذريعة الحكة	٣
١٢	خلق العبادة	٤.
-	**المحور الثالث**	C
١٣	رصد وتقويم	١
١٤	التربية والتعليم	٢
١٥	الثقافة المتصالحة	٣
١٦	نظريات جامعة	٤
-	نظرية النسبية الكونية	٥
-	نظرية الفطرة الإنسانية	٦
-	التكامل الحضاري	٧
١٧	ميزان الفطرة	٨
-	عوامل التأثير	٩
-	مفهوم الأمة من أقطارها	١٠
١٨	المقارنة	١١
١٩	الثقافة بين الحديث والموروث	١٢
٢٠	التنوع الثقافي	١٣
-	حوار	١٤
-	الحرية والأدب	١٥.
٢١	هوامش الحداثة	١٦
٢٢	برامج علمية ومشاريع تنموية	١٧
٢٣	التنمية الشاملة	١٨
٢٤	**المراجع**	D
	منظمة جواب العالمية .	
	البرنامج الوطني للتأهيل الشامل .	

مقدمة

لقد أسست جواب العالمية عام ١٩٩٦ م في ولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية كمنظمة غير ربحية ومتخصصة بالفكر الإنساني . لتقوم بتحليل للنظم والنظريات من منطلق المقاربة والمقارنة والمعالجة , لكل ما يؤثر ويتأثر به الإنسان في حياته العلمية والعملية القولية والفعلية , بما تشمله من قيم اجتماعية ومعاملات اقتصادية ومقومات ثقافية موروثة متداخلة مع النظم والأدوات الحديثة . لتقدم الإجابة على معاملات متضادة في أسلوبها ومتوافقة في كثير من مضمونها ومقصدها , فتحاور على أساسها من خلال التعريف للمفاهيم والنظريات الفكرية بطرح علمي موضوعي ملتزم بآداب الحوار الذي تسعى المنظمة إلى أن يكون جزء من الثقافة الإنسانية حول العالم .
ومن هذا البحث الذي قد اختزل في طيات بنود محاوره نتاج بحوث ونظريات ومعالجات ذات قيمة فكرية على المستوى العالمي . فانه يسر المنظمة أن تقدم تحليل دقيق للواقع بظروفه ومسبباته وتطرح الحلول والمعوقات مستلهمة البدائل والحلول , من منطلق أهداف ما يسمى (مفهوم الأمن الفكري إشكاليات وبدائل) .

جواب

تعريف الفكر

الفكر هو نتاج معلومات معرفية يتلقاها العقل بحراك حر فينتج من خلالها نظرة أو نظريات تحدد له صورة معينة للأمور سواء كانت هذه الصورة جزئية أو مكتملة صائبة أو يشوبها شيء من خلل ما بنيت عليه .

نشأته

ينشى الفكر من خلال الدور الرئيس لوظيفة العقل كميزان يوفق بين القيم الروحية والغرائز الجسدية من منطلق الفطرة الإنسانية , لكل ما تؤثر وتتأثر به النفس البشرية من أقوال وأفعال ونظم ومعاملات تشكل بيئته و محيطة.

مؤثراته

يتأثر الفكر بعوامل يتفاعل معها العقل بشكل مباشر أو غير مباشر , سواء كانت تلك العوامل ناتجة عن معلومة أو حدث أو معاملة فيكون التأثير بحسب علاقته بها أو بمن حوله أو بمن يرى أن له علاقة به . وبذلك فهو معرض إلى تلقي رسائل أو مؤثرات تدفعه إلى الاتجاه الذي يريد له ؟ ومن هنا يأتي دور الجهات الفاعلة والمؤسسات المعنية على المستوى التربوي والتعليمي والاجتماعي والثقافي و الاقتصادي سواء كانت مدنية أو نظامية . لتقديم البرامج و القنوات العلمية والتوعوية و المشاريع التنموية الفاعلة التي تقدم بذكاء يساهم في حمايته بالوعي الثقافي .

مكونات

يعتبر الإنسان المتلقي للمعلومة بمصادرها ضمن البيئة المحيطة بمكوناتها سواء كانت عادات اجتماعية او معاملات اقتصادية أو آداب ثقافية بمقومات دينية ومؤثرات حديثة من مكونات الفكر بأصولها المتفرعة منها :

- آداب ثقافية .

قراءة
تربية
تعليم
حوار

- عادات اجتماعية

مبادئ
قيم

- معاملات الاقتصادية

نظم
حقوق
أخلاقيات

- مقومات دينية

عقيدة
أحكام
عبادة

- مؤثرات حديثة

نظم
أدوات

المحور الأول

مفهوم الأمن الفكري

عندما نتكلم عن الأمن فإننا هنا نتحدث عن نقيض الخوف ؟
ما يعني أن هناك حاجة إلى الأمن بسبب تخوف أو مخاوف تتهدد أمر يحتاج إلى حماية , فكيف اذا كان التهديد يمس ركن تتداخل في تركيبته شئون الحياة بأكملها ألا وهو الفكر .

دوافع وأسباب

في ظل ثقافة تقليدية سائدة بكل ما تحمله من مبادئ وقيم وعادات وتقاليد متأثرة بشكل مباشر بمقومات دينية مبنية على أساس النقل والتقليد وتفتقر إلى ركائز فكرية فاعلة ومحصنة ما يجعلها عرضة للتصادم مع مستجدات أدوات العصر بما تحمله من نظم ومعاملات حديثة , وهذا التخوف يتأرجح بين أمرين :

- إما التطرف الديني المائل للعنف و الرافض للتحولات التي يفرضها التطور الطبيعي للحياة .
- أو الذوبان والانحلال الأخلاقي الذي قد يصاحب الانفتاح خاصة مع التراكمات المتشددة وتأثيراتها النفسية .

إشكاليات

يقع مسمى الأمن الفكري تحت إشكاليات متضادة في المضمون والنتائج , فالفكر حراك حر وإضافة أمن على الفكر تقييد يتعارض مع مضمونه , وبالتالي فنحن نتحدث عن مسمى غير منسجم مع نفسه , ودخل في دوامة تخرجه عن مساره وتعطل نتائجه .
لذا فإننا سنتعامل معه من باب الاستعارة المجازية , إن صح التعبير ؟ فتحل الحماية محل الأمن والإنسان محل الفكر فيكون المعنى :

- إما حماية مكتسبات الإنسان المحلية من الانفتاح على العالم الخارجي وهذا يتعارض مع مقتضى الانفتاح و لا ينمي الفكر (فيتحول المعتاد الى فريضة و تكون الثقافة مكتسبة منه وهنا يكمن الجمود المحض ؟)
- أو محاولة لتعزيز دور التوعية المكثفة لتعويض ما فات حتى لا يتعرض المجتمع إلى متناقضات تجعله ينقلب على موروثه المحلي أو تسوقه إلى التشدد فيكون أكثر عنف وتطرف !

ومن هنا نتحدث عن التطورات الطبيعية للحياة والتي تعد تحول طوعي تفرضه متطلبات المعيشة وظروف متغيراتها إلا أن التحول المفاجئ من النظام التقليدي إلى النظام المدني بآلياته ونظمه الحديثة في ظل تشدد ديني وتعصب قبلي يشكل خطرا يحتاج إلى استعداد كامل وبرامج مكثفة بالإضافة إلى الاستعداد الأمني اليقظ . خاصة أمام مشكلة معقدة ومركبة بما لها من علاقة متصلة بجميع شئون الحياة من عادات ومعاملات كونت ثقافة الفرد الحسية والمعنوية حتى أصبحت تمثل وجوده وكيانه بما تلامسه من تأثير ديني يميل إلى العنف , وبذلك يكون عرضة لمؤثرات قد تحوله إلى عنصر عدائي ضد وطنه ومجتمعه .
وبناء عليه فان أي تحرك للتغيير يجب أن يراعي أمرين هامين :

- ضرورة أن يكون الطرح علمي موضوعي قادر على تجاوز مصائد المتعصبين والمتشددين لكسب مشاركتهم أو على الأقل إضعاف حجتهم وبالتالي يضعف مستوى تأثيرهم على العامة .
- تبسيط مفهوم الحداثة ليكون تعبير عن كل ما هو مبتكر من أدوات ونظم الحياة في جميع شئونها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية بمدادها الفكري . ويمثل ذلك صناعيا بالسيارة والطيارة والتلفاز والجوال و كذلك النظم والبرامج الاقتصادية , بشكل يسهل على العامة استيعابها وفهمها .
- شرح بعض مركبات الحداثة وإيجاد آلية للمقاربة والمقارنة والمعالجة بينها وبين الموروث , وذلك لتطوير المفاهيم المعرفة بشكل يسهل معه إيضاح مدى الحاجة إلى مراجعة الثقافة المحلية من خلال نظرية الفطرة الإنسانية , بما تحمله من فكر نافذ يوازن بين الحديث والموروث .

وهذا لا يحتاج إلى أمن فكري بقدر ما يحتاج إلى سلم فكري محصل للأمن الاجتماعي كعلاقة طردية . كما أن الأمن الاجتماعي أبلغ من سلمه وأوسع واشمل في انعكاساته المحصلة لنتاج تصالح ثقافته .
وفي ظل هذا الطرح فان مقولة ما يسمى (الأمن الفكري) يشوبها بعض المحاذير, و إذا قلنا أن الأمن الفكري يؤدي إلى السلم الاجتماعي فان في ذلك نظر لسببين رئيسيين :

- تعارض الأمن مع حرية الفكر بما يُملى أو يفرض عليه , لأن الأمن سيحل محل الحماية والفكر محل الفرد
- تعطيل الحوار وتفريغه من مضمونه ومحتواه , لان الأمن الفكري ((كهدف)) سيدخل في تحديد الإطار المسموح به في الحوار , فيكون الحوار على أمر محدد أو محسوم النتيجة .

عليه فإن الأمن الفكري لا يتوافق مع مقتضيات الحال وتطور الأحوال , خاصة إذا كانت العادات الاجتماعية خاضعة لقناعة الفرد للمقبول وغير المقبول حسب فهمه أو علمه أو وعيه , ومن ذلك فانه يمكن أن يتوافق تصرف لشخص من أقصى الشرق مع شخص آخر في أقصى الغرب في الوقت الذي يختلف فيه مع أخيه الذي يسكن معه في بيت واحد ؟
كما أن المعاملات الاقتصادية أصبحت علم خاضع لنظم ومعايير عالمية متعارف عليها !
أما التوجه الديني فانه يتفرع إلى مذاهب وطوائف وجماعات لها مراجعها الحديثة والقديمة التي تؤثر و تتأثر بمتغيرات الزمان والمكان وظروف الأحوال المعيشية للإنسان ....
و الثقافة محصلة لتلك العادات الاجتماعية بمتغيراتها والمعاملات الاقتصادية بتقلباتها والمقومات الدينية المتفرعة على اختلاف مشاربها ؟ فكيف يمكن أن توجد لها أو لمحصلها أمن فكري !
بالإضافة إلى تناقض الاسم مع دلالته ومقتضاه ؟ فالأمن ضبط وقيد والتزام ؟ والفكر انطلاقة وحرية واتزان ! وهذا تعارض وتضاد يوحي بتقييد الفكر والوصاية على العقل ضمن توجه لا يخرج عن الدائرة الواحدة ؟ .
عندها يقع المحظور وتصادر الأفكار و العقول , فيتجمد الحراك ويقل الإنتاج ويضمحل العطاء والإبداع وتحل الاتكالية محل التكافل والخمول محل العمل وتشيع الأهواء المتضاربة والفوضى العبثية فيدب اليأس ؟ ويتناحر الأخ مع أخيه والجار مع جاره و تتسع الدائرة فيتزعزع الأمن الاجتماعي ضمن المحيط المحلي وتنتشر العدوى فتنتقل إلى قطرها الإقليمي ومنه إلى بعدها الدولي .
فالعقل مركز كرامة الإنسان وإذا افقد ((عطل)) دوره الرئيس ووظيفته العليا أصبح مسلوب الإرادة ! ومن سلبت إرادته انتفا حق محاسبته عليها ؟ ويصبح الموجه في ذلك مسئول عن نتائجها .
والخطاب الرباني ابلغ واصدق ؛
فقال تعالى (وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا .....) الآية
وفي آية (إنما أنت نذير .....) الآية
وفي آية (لست عليهم بمسيطر .....) الآية
وفي آية (انك لا تهدي من أحببت ...) الآية
وفي آية (أفلا تتفكرون .....) وأخرى (أفلا تعقلون ....) الآية
وخلاصة الأمر أن التوازن بين ثقافتين متضادتين في الشكل والمظهر ومتنافستين في المقصد والمضمون , تحتاج إلى سلم فكري يوفق بينهما من منطلق القواسم الإنسانية المشتركة ابتداء , وليس إلى امن فكري يتضاد مع مضمونه ويشكك الآخرين في وجهته فتتسع الهوة بين أطرافه وتضرب الازدواجية والتناقض أركان نتائجه .

بدائل

يمكن للسلم الفكري كمفهوم متوازن ومتفق مع مضمونه ومسماه بان يوجد آليات قادرة على توظيف الايجابيات وتفنيد السلبيات موروثة كانت أو حديثة محلية أو عالمية لمعالجة المفاهيم الموروثة و تقويم النظم الحديثة .
وهذا ما يؤدي إلى الثقافة المتصالحة التي تعزز من مقومات الأمن الاجتماعي بما له من انعكاسات على الإنتاج الاقتصادي والانسجام السياسي .
فتشيع لغة الحوار الهادف للنقاش مع احترام الخلاف , ليجد من يملك مسوغ علمي أو نظرة أدبية قادر على تقديمها بشكل يراعي حق خلاف الرأي فيها بطرح موضوعي يراعي جوانبها وانعكاساتها متلافيا ارتداداتها , فيكون مؤثر بها وقادر على التغيير من خلالها .

وهذا يحتاج إلى تهيئة الظروف الإنسانية المناسبة , والبيئة العلمية والعملية المؤثرة مع التوعية الشاملة , وتدع العقل يتفاعل معها ويحدد مسار اتجاهه فيها دون وصاية أو إكراه .
ومن هذا المبدأ فان السلم الفكري ينطلق من فهم عميق للتوجيهات الربانية التي بينت للإنسان ما له وما عليه بدلائل وأدلة تهديه , كما حذرته من مصائد تشقيه , ثم أوكلت الأمر لتفاعل عقله المحرك لنتاج فكره ومحصل عمله . بعد ان أصبح يملك حق الاختيار بإرادة كاملة وحرية ضامنة لاستخلاص النتائج وفهم المقاصد . وبذلك يتضح الفهم العميق للعطاء المتبادل كأساس للعلاقة المطلقة بين الإنسان وغيره .
فمفهوم السلم الفكري يمكن ان ينتج آلية متزنة وقادرة على التعامل مع العقل بكل احترام وحرية من خلال ما منحه الله من قدرات تتفاعل مع مكونات النفس البشرية بين الروح والجسد كميزان حكيم ومرشد يوفق بين مؤثراتهما القولية والفعلية .
وهذا خاضع لما يتلقاه العقل من معلومات تعزز من دوره الطبيعي كميزان متزن بالمعلومة الحقيقية فيؤثر ذلك على سلوكه ومعاملاته ويقوم نظرته للأمور بمسئولية والتزام .
ومن هنا تنشأ الثقافة المتصالحة مع نفسها ضمن محيطها المحلي المتفاعل مع قطره الإقليمي وبعده الدولي .

مقومات

ومن أهم مقومات السلم الفكري (العدل والحرية) .
فعندما تؤدى الحقوق تفرض الواجبات وعندما تسن التشريعات تفرض الرقابة على تنفيذها فتكون المحاسبة مقيم لنتائجها , فالأمور تبعا لمقتضياتها ولا يمكن إخراجها عن سياقها أو تجزئتها و فصلها عن مضمونها , فالعدل في أداء الحقوق والحرية بوعي ثقافي تعد من أهم أركان السلم الفكري .
و بذلك يكون مفهوم السلم الفكري ابلغ في النتيجة وأكثر في الحماية من وجهتين رئيسيتين :

- حاجة المجتمع للأمن الذي لا يتأتى إلا بالسلم (الفكري) الذي يشيع فيه أدب الحوار واحترام الآخر .
- أن السلم الفكري يرتكز على مبادئ ونظريات ذات توافق محلي عالمي عقلاني يمكن أن ينتج ثقافة متصالحة مع نفسها ومتفاعلة مع محيطها المحلي وقطرها الإقليمي وبعدها الدولي .

وهذه المقومات تعد من ركائز الدول المتقدمة وشرط لازم لنهضتها كمحصلة للتنوع الثقافي المتصالح مع نفسه .
فالكرامة الإنسانية هي مبدأ الفكر السليم و مصدر الإلهام والحوار والاحترام والمحبة والسلام و منبع العطاء ومحفز النفس على الإنتاج والإبداع . لقوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم .....) الآية .

معوقات

من اشد معوقات السلم الفكري (الظلم والتطرف) .
يعتبر الظلم آفة تفتك بكل ما هو جميل في الحياة فتحوله إلى جحيم لا يطاق وهذا مفتاح الشر ومكمن كل ضرر ومنه يستمد العابثون بالإنسان أسلوب الإثارة والمزايدة لتأجيج النزعات المتطرفة لدى المتلقي , فيكون التطرف نتاج الظلم كما يكون الظلم من محصلاته . ومن ذلك أن يعمد العابثون بالبشر إلى توجيه رسائل تثير النزعات الدينية او العرقية دون ان يكون هناك رسائل مضادة لها في القوة والتأثير .

وسائل

عند مواجهة طوفان من التحديات والمؤثرات بوسائلها المختلفة فان الأمر يتطلب تحرك عاجل وفاعل لإحداث البرامج التربوية والتعليمية والمشاريع التنموية الذكية والقادرة على استمالة عقول وقلوب وطموح المتلقي .
مع المتابعة والتوجيه عبر الوسائل التالية :

- ☑ الوسائل الإعلامية
  - المقروءة
  - المشاهدة
  - المسموعة
  - المتصفحة
- ☑ الوسائل التربوية

- المدارس
- الجامعات
- الجوامع

☑ الوسائل الاجتماعية

- المساجد
- الندوات
- الأندية
- المؤسسات
- الفعاليات

وذلك ناتج عن ضعف مقومات آداب الحوار في طرح القضايا بين مختلف التوجهات الفكرية أو المذهبية , وبسبب نظرة متسرعة وغير مكتملة عن مبدأ الحداثة و تعريفها . فينشأ من ذلك فراغ ثقافي او فقدان للهوية الثقافية والتي بدورها تتسبب في الانحرافات الفكرية الشاذة أو المتطرفة .
فتتشكل دائرة الفراغ الثقافي بين الحديث والموروث – وكأن الأمر إما جمود أو انزلاق وهذا ما أفرزته الثقافة المتناقضة التي أصبحت سدا منيعا دون نفسها .
فينظر الخائف من انعكاساتها عليه أو على ذويه بأنها ستخرجه من قيمه ومبادئه وعاداته وتقاليده ما يزرع الخوف في نفسه , ولا تجد قاعدة فكرية تسعفه لضعف ثقافته المنعكسة عليه من أسلوب التربية وطريقة التعليم والبيئة العامة لمحيطه الاجتماعي فيقع تحت تأثير النظرة المتشددة , وهذا ما يؤمن أرضية خصبة لتحريك البسطاء من الناس ليكونوا وقودا لفتنة محركهم .....
فالفكر اذا لم يجد له متنفس في ظل ثقافة تقليدية مبنية على فهم متشدد يرى ان ثم تحولات تريد ان تقتلع دينه وقيمه فيكون بمثابة الجنين الذي ينمو بسرعة لا تتسع له الحاضنة فيمزق بطن أمه .!؟
و إذا كنا نعلم ان الإسلام صالح لكل زمان ومكان ما يعني انه متقدم عليه و قادر على التعامل مع متغيراته (وهذه الأزلية) هي التي تمكنه من البقاء والاستمرار كإعجاز الهي يحتاج إلى استنباط وتوظيف للأدوات والنظم الحديثة بتحليل دقيق لآلياتها العملية , ما يساعد على مراجعة النظم التقليدية لتقويم الأخطاء الناتجة عن فهم غير شامل لما له علاقة بمقتضاه , كما يساهم في اكتشاف أخطاء تحتاج إلى معالجة في النظم الحديثة .
فما بين حرف النص ومعناه علم الدلالة والدليل بربط يحيط بما له علاقة بحكمه ومقتضاه وفهم لعمومه وخصوصه الذي يحدد صورته فيتضح مقصده ويستخلص نظامه .
وبذلك يكون توظيف أدوات العلم الحديث مكسب شرعي وتحرك عولمي لتأسيس فكر إسلامي متقدم مستمد من المقاصد الشرعية وقادر على التوفيق بين الحديث والموروث بعلم راسخ وثقافة واعية لا تقبل المنازعة والأهواء .
وإذا لم نصل إلى هذا الفهم وهذا التحرك فان الجمود والتناقض الذي يهدد بنشوء فكر موغل في التطرف يهدد الأمة و ينذر بخطر قد أشعل فتيله .؟

المحور الثاني

تشخيص و تحليل

لقد تشتت الآراء وتباينت المشارب و تضاربت الاتجاهات فحدث خلط كبير في فهم علاقة الدين بالثقافة هل هو مقوم لها أم انه بديل عنها ؟
فإذا كانت الثقافة بكل مقوماتها و تراكماتها المعرفية هي المعرفة للدين فكيف يكون بديل عنها ؟ فإنه لا يمكن للشيء أن يكون بديل عن معرفه !.
و إذا نظرنا إلى الدين كمحدد للمعاملات بشكل حرفي يتعذر معه المعنى والتطبيق العملي لجميع شئون الحياة التنظيمية والإدارية بمتغيراتها المعاشية سواء كانت موروثة أو متأثرة بأدواتها الحديثة !.فان ذلك سيولد تجاذبات وتناقضات تفقد الهوية الثقافية جل سماتها . فتكون عائمة و معلقة بالآراء والاجتهادات والأهواء والتقلبات فلا تستطيع أن تحدد ملامحها ! مع العلم ان التوجيهات الشرعية عادة ما تكون لما فيه تقويم لخلل او دفع لضرر وليس لجميع معاملات الإنسان اليومية بكل حركاته وسكناته وأقواله , فذلك من موروث الحياة بتراكماتها المعرفية لقوله صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ... الحديث) والتتمة لا تكون إلا لما سبقها .

وبسبب اتساع دائرة الاجتهادات والخلافات المذهبية والايديلوجية وصراعاتها تحول الدين وكأنه ثقافة , وهذا ما يجعل البسطاء عرضة للموجات الجارفة او الصاخبة , لان التائه يبحث عن مرشد قل في زمن الضرر .!
ولو كان الدين وحده المكون للثقافة لما تفشى الجهل والتخلف في أمة كلما ازداد التشدد غير العقلاني في تدينها الذي لم يخرج إلا أصوات متناثرة و متناحرة تحمل توجهات فوضوية متناقضة تُفقد القيمة والقيم !
ومن نتائج خلط الدين بالثقافة أن أصبحت العبادات عند الكثيرين شكلية لا مضمون فيها حتى فقدت قيمتها المؤثرة في السلوك و المعاملة , وذلك ناتج عن التركيز في دين العبادة على حساب دين المعاملة..
فالثقافة نتاج طبيعي للعادات الاجتماعية والمعاملات الاقتصادية , وتمر بمراحل تراكمية تؤثر في تحولها أو معالجة ثغراتها وأخطائها .
كما أتى الإسلام للأمة العربية في زمن الجاهلية ليعالج ويقوم ما علق بها من أخطاء شائعة ولم يأتي ليلغيها ؟ .
فنقول لمن صعب عليه الأمر وتعقد لديه الفهم , بان الحياة هي أسلوب عيش بما يترتب عليها من معاملات وعلاقات ونظم خاضعة لمتغيرات زمانها ومكانها سواء كانت معاملات اقتصادية أو عادات اجتماعية تعد المكون الرئيس للثقافة المحلية في أي قطر من أقطار المعمورة , ولا يصح أن يكون الدين بديل عنها بقدر ما يكون مقوما لها .
فاختلاف العادات والتقاليد ناتج عن اختلاف البيئة الاجتماعية المكونة لها بتأثير ظروف معاملاتها الاقتصادية , ومن الخطاء الكبير والخلط الخطير أن تلبس بلباس الدين ! لأن ذلك سيدخلها في صراع مع الأقطار الأخرى التي ترى أن ذلك تبرير لفرضها عليهم ؟

والصحيح أن كل قطر مطالب باحترام عادات وتقاليد الآخر مع الاجتهاد لمعالجة شوائبها وما علق بها من تراكمات الزمن وانحرافاته , فيكون قاسمها المشترك المبادئ والقيم الإنسانية التي تجمعهم مع أنفسهم وتقربهم للآخرين بكل احترام واعتزاز يفخر به الجميع كتنوع يثري الحضارة الإنسانية , وأساس لقيمها الكامنة في الفطرة السوية التي أتى الدين ليعززها ويزيل شوائبها .

إلا أن ضيق الأفق وعسر الفهم المطرز بالتعصب والتشدد اخذ يحرّف الأمور ويصرفها عن مضانها ويضعها في غير محلها ووجهتها ؟!

ومن هنا نقول إذا كان القرآن الكريم نزل بسبعة أحرف والحرف هو نطق اللسان تبعاً لبيئة تختلف عن الأخرى , أفلا يكون فهم الأحكام مختلف حسب اختلاف الثقافة الاجتماعية كل في محيطه حسب تباعده و تباينه , ومن ذلك نشأت المذاهب والطوائف على اختلاف بيئتها لا على أساس تأثيرات خارجية تحولها !؟

فالدين لا يحول ثقافة قطرية لتصبح كغيرها في كل شيء حتى في فهم الأحكام والتعامل مع العبادة تجد فيها التباين والخلاف المذهبي والفقهي إلى غير ذلك ؟
و لا يمكن لإنسان أن يتجاهل الحياة بمعاملاتها ومتطلبات شئونها المختلفة والمتغيرة بتغير نظمها وتطور أدواتها , إلا لمن لا يعيش فيها !
كما لا يتعامل مع الدين كثقافة كاملة إلا من خرج إلى الصحراء أو عاش في كهف ليجمد الحياة ويكسر حقيقة الصراع بين الروح والجسد كمحور رئيس لصراع الإنسان مع نفسه ورغباته أينما حل أو ارتحل !؟
وهذا ما حذر الخالق منه لقوله تعالى (رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ...) الآية .
كما يتعارض مع قوله تعالى (أ لمَ احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون ....) الآية
فحقيقة البلاء تكمن في صراع الإنسان مع نفسه ما بين داعي الخير في روحه المحرك لضميره و بين مؤثرات غريزية في جسده , فيزن بين القيم والدوافع بميزان العقل الذي يغذيه فكر متزن يساعده على ذلك . لا أن يهرب من قدره ! أو يختبئ خلف جموده وكسله ؟

الفراغ الثقافي :

ينتج الفراغ الثقافي بسبب فجوة تحدثها عوارض مختلفة نوجزها في نقطتين :

- ☑ التركيز الروحاني المتعصب في التعاليم الدينية أو المذهبية المتشددة التي تتجاهل العلاقات و المعاملات الإنسانية وتحولها إلى هوامش دنيوية .
- ☑ الانسياق وراء الغرائز الجسدية دون وعي يساعد العقل على ردع النفس من الانجراف وراء المغريات المادية .

وإذا اجتمعا سببا فراغ ثقافي يهدد القيمة الإنسانية و يزعزع القيم الأخلاقية , ومن اخطر ارتدادات الفراغ الثقافي الجفوة التي تؤدي إلى الحرمان العاطفي .
وهذا ما يحدث عندما يكون هناك خلل في أصل العلاقة بين الجنسين خاصة إذا اخذ الجانب الجسدي الاهتمام الأكبر على حساب روح العلاقة الأخلاقية بالتزاماتها ومسئولياتها الأدبية والاجتماعية .
وهذا يحتاج إلى توعية شاملة للمسئوليات والالتزامات الاجتماعية والآداب الأخلاقية وروح العلاقة والمعاملة الزوجية ابتداء من كيفية اختيار شريك الحياة بحيث تخرج من دائرة الاهتمامات الضيقة إلى دائرة الحياة بكل جوانبها واحتياجاتها مع التوعية الفكرية والتوافق بين الطرفين في الرؤية ومدى أهمية ذلك على تنشئة الأجيال القادمة ؟

فالعودة إلى ثقافة التسامح مع مراجعة التقاليد المتفاهمة مع أدوات عصرها بوعي يزيد من الاعتزاز بها ويؤمن لها الحماية الذاتية , بعد أن تغرس في الوجدان بشكل لا يتنافى مع الانفتاح على العالم الخارجي , بقدر ما يساهم في تأصيلها بمراجعة ما ألبس عليها وليس منها أو ما علق بها من شوائب الزمن , فتتمايز بهويتها العربية الأصلية وتعاليمها الإسلامية المعتدلة دون انغلاق يحاصرها أو تبعية تذيبها .

حقيقة الصراع

ولكي نحدد الأمر بشكل واضح ومباشر فان الإنسان يعيش تجاذبات تعبر عن صراعه الطبيعي في هذه الحياة ما بين مقومات دينية تتجاذبها معاملات اقتصادية وعادات اجتماعية تؤثر وتتأثر بالتقلبات والمتغيرات , فالدين فطرة روحانية والاقتصاد حراك مادي و هما يعبران عن صراع طبيعي في النفس البشرية ما بين قيم روحية وغرائز جسدية يحتاج التوفيق بينهما إلى فكر إنساني عقلاني متزن يدرك أهمية حاجة كل منهما . فالانزلاق المادي تسلط و توحش بشري !! والانغلاق الروحي تطرف وجمود قهري ؟؟ والميزان بينهما يكمن في العقل الذي يحتاج إلى فكر متزن ليقوم بدوره ويؤدي وظيفته الطبيعية بينهما ؟!
ومن هنا أتى الربط بين نظرية النسبية الكونية كإطار عام وبين نظرية الفطرة الإنسانية كمدخل للتفصيل , ما يؤسس لفكر إنساني يحمل معايير عقلانية متزنة و قادرة على أن تبعث بثقافة متوازنة بين الفطرة الروحية والمادة الجسدية لتعيش البشرية في ظل توازنات إنسانية يسودها التوافق بين القيم الروحية والغرائز الجسدية كتصالح بين أهمية الموروث وفاعلية الحديث .
وبذلك نستطيع أن نحدث حراك فكري متزن مع نفسه ومتوازن مع غيره , ليكون مدخل فاعل لمعالجة المفاهيم المغلوطة في الموروث , وتقويم لخلل وتجاوزات الحديث الذي يعتبر نتاج للتطور المطرد لنظم وأدوات الحياة بمختلف شئونها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية بمقوماتها العلمية والفكرية والتي تسمى اصطلاحا (الحداثة) .
فنتفاعل مع نظمها وأدواتها بالمقارنة والمقاربة والمعالجة , فنكون مؤهلين لانتقادها ومؤثرين في التأسيس لما بعدها !
وخلاصة الأمر أن الدين بفهم قويم وفكر مستنير يعد مقوم من مقومات الثقافة و ليس بديل أو لاغياً لها , لكونها المعرف لأحكامه ولا يمكن للشيء أن يكون بديل عن معرفه .

فإذا كانت الثقافة هي جملة من المؤثرات والمكونات الاجتماعية والاقتصادية بعاداتها و معاملاتها على اختلاف زمانها ومكانها , وان الدين يعتبر مقوم لأخلاقياتها . فان المشكلة تكمن في الفهم الخاطئ والتطرف الموجه .. ؟! الذي يؤجج الصراع الثقافي ويشكل الايديلوجيات المتناحرة ,فيقسم الناس إلى فئات ومذاهب تسودها الكراهية , مع أنه لا يوجد دين لا إنسانية فيه وإلا لخرج عن مضمون قيمه ومبادئ أخلاقياته وعندها لا يصبح ديناً ؟ فيدخل الإنسان في صراع مع نفسه لقلة وعيه و ضعف فهمه ؟ فيكون ضحية محركه و وقوداً لفتنة قاتله .....!!
و هنا نستحضر قوله تعالى (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ....) الآية . بفهم ووعي يفتح الباب أمام استنباط المقاصد الشرعية من منطلقاتها الإنسانية .....

فالإنسان هو الإنسان في كل زمان و مكان ...! يحمل في روحه داعي الخير المنبعث من نفخ روح الله في آدم عليه السلام , لتكون داعي الخير الذي يزرع ضميره الحي ويبعث بفطرته الإنسانية التي تحتاج إلى تنمية متزنة غير انفعالية أو متشنجة لتهذب خلقه وتضبط سلوكه المندفع من غرائزه المادية الكامنة في جسده , حتى لا يقع تحت تأثيرها الجارف ...
فالنفس البشرية مكونة من روح و عقل كامنين في جسد محسوس وملموس يقع تحت تأثير مادي غرائزي جارف ! وهذا مدخل الشيطان المادي على الإنسان ليحرك رغباته و شهواته فتشتعل حدة الصراع المنطلقة من سطوة غرائزه المادية فيكون كشيطان ماردٍ يمشي على الأرض ليستعبد أهلها ؟!

وهذا لا يعني الإفراط في الغلق والتعطيل للحياة كمبرر يقع ضمن الخوف والتشكيك لدرجة التزمت ,الذي دفع البعض إلى الفصل في العلاقات الإنسانية الطبيعية بين الجنسين . تحت ذريعة ما يسمى مصطلحا (سد باب الذرائع) دون إلمام شامل لارتداداتها الأخلاقية والتربوية في الحياة العملية وما تحمله من إفرازات ثقافة تشوه العلاقة بين الجنسين, حتى يصبح تفكير كل منهما ينصب فيما منعا من التلاقي بسببه .

فيزداد الانجراف كل ما ازداد الغلق والكبت ؟ وقد ينتج ردة فعل غير محسوبة أو متوقعة! فالتفريق بين الجنسين بسبب نظرة غير متزنة للجوانب الغرائزية , كرس النظر إلى بعضهما في الجانب نفسه !!
حتى وصل الأمر ببعض المتعصبين والمتشددين إلى إن يغلقوا على ذويهم بشكل متوحش و مفرط في الغلو والتشدد و هذا عبث أخلاقي وانقلاب اجتماعي عندما ينظر للمرأة وكأنها مجرد وعاء غرائزي مسلوب الإرادة والحقوق !!؟
و في ظل هذه الظروف والتراكمات المتشددة فان النتيجة المتلازمة ستفرز ما يلي :

- تفشي ظاهرة التحرش الجنسي خاصة مع وجود سائق وافد منذُ سنين أليس إنسان فيه غريزة فأين سيفرغها!
- زيادة نسبة حالات الطلاق بسبب التركيز على الجانب ألغرائزي وإهمال التوعية العامة بالجوانب الأخلاقية وبث روح العلاقة الزوجية بمسئولياتها والتزاماتها .
- تدني مستوى الأخلاقيات العامة المنعكسة على السلوك العام .

وبهذه التراكمات التي تنذر بالفوضى الأخلاقية , يتوجب القيام بالبرامج التوعوية الفاعلة وتخفيف النظرة القاصرة في العلاقة بين الجنسين بالتدرج في المعاملات بينهما حتى يأخذ الوضع الطبيعي مأخذه الذي كان سائد فيما مضى . و إلا فإن التشدد في هذا الأمر قد يدخل الجميع إلى منطقة محفوفة بمخاطر ارتداداتها السلبية على المجتمع بأسره , خاصة مع الحاجة إلى تفعيل دور المرأة كعنصر منتج في محيطها , وتحتاج إلى المعرفة المكتسبة باحتكاك طبيعي يساعدها على القيام بشئون حياتها . فتتفتح مداركها وينمو حس المعرفة لديها فتتمكن من تربية جيل المستقبل من أبنائها بأسلوب وطريقة أدبية وعلمية صحيحة . وفي المقابل يزداد وعي الزوج في التعامل معها ومع أبنائها , لا أن تكون خاضعة لاستغلال أو ابتزاز أو مزايدات الغير .
فهذه المسألة تعد من المحاور الرئيسية التي تزيل اللبس وتحقق التوازن وتنزع فتيل التشدد غير المبرر , إلا من فهم خاطئ ومتسرع من أناس نصبوا أنفسهم أوصياء على عقول الناس وتصرفاتهم , ما يستوجب وضع حد لهذه الممارسات التي لا تورث إلا الفتن والفوضى وتنقص من إرادة الدولة و هيبتها .
و لو تدبروا قوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف..الآية) لاختلف الأمر وتبدل الحال .

إلا أن المسألة لها علاقة بالجانب الثقافي الموروث من أساسه القديم فأتى الإسلام ليقوم خلله , ولكن العصبية العربية أبت إلا أن تعود من حين لآخر ؟ وليس للدين من ذلك في شيء إلا ما البس باسمه !
وهذه النتائج المتناقضة و غير المتوازنة أفرزت خلق غير منضبط قد يخل بالمعايير الاجتماعية على المدى المنظور خاصة مع الانفتاح الذي قد يكون له نتائج كارثية في ظل ارتدادات الإغلاق المتراكمة ما ينذر بفتح أبواب يتعذر إغلاقها ! ؟ ما يتطلب معه حراك فاعل وعاجل لبرامج التوعية الشاملة دون تردد أو تلميح ؟

حكمة الذريعة و ذريعة الحكمة

إن الإغلاق الذي يغير سنة الحياة الطبيعية بحجة سد باب الذرائع قد تسبب في فتح أبواب من الانحراف الخفي ؟ والتخبط الأخلاقي ! وساهم في زرع بذور الغلو والتطرف بعد أن تجاوز حده وتعدى على السنة الإلهية لحقيقة الصراع بين الغريزة والفطرة .
فبدل أن تهذب الأخلاق وتقوم المعاملات عُمد إلى أسهل الطرق والمعادلات , فكان الإغلاق الذي زاد التيه عنوة وقلب الحُجر قسوة , فقل الاعتبار لقيمة الحياة فانزلق البعض وتطرف الآخر ؟!
وكأن لسان حال المشرّعين أو المتسرعين في سد باب الذرائع يقول ربنا لما خلقتنا مع هذه الأبواب ؟! كمن قال من قبل (ربنا لما كتبت علينا القتال ... الآية)

ولتخفيف ردة الفعل المتوقعة حال الانفتاح فان الخطوات العملية تتطلب المرور عبر مرحلة بين المرحلتين مع الفاعلية الملموسة على ارض الواقع ,, فالثقافة ممارسة ,,

خلق العبادة

لقد تحولت العبادة الروحية إلى نماذج و حركات شكلية فضعف تأثيرها الايجابي المنعكس على السلوك والمعاملات والحقوق , وذلك ناتج من التركيز على دين العبادة وإهمال دين المعاملة .
فعندما يكون الإنسان مؤمن بعظمة الخالق وينظر إلى عجائب مخلوقاته , فإنه بحاجة إلى أن يدرك حقائق توجيهاته في حياته من خلال فهم لمقاصدها و دلائل حكمته فيها, بوعي يزيد في إيمانه به فيرسخ قدميه على طريق سوي , لا أن تكون النظرة إلى تفاصيل علمه شكلية مظهرية و المعاملة والسلوك بعيدة عن الأخلاق الإنسانية .
فالعبادة قربة طوعية بين العبد وربه و يمكن غرسها بعلم وفهم ليعي الإنسان مدى أهميتها الروحية ويتحسس طمأنينة قلبه و سكون نفسه وراحة باله مع التقريب والترغيب واللين والرحمة.
أما فرض العبادة بالطرق القسرية فانه يخرجها من مضمونها الروحي و تأثيرها النفسي فتصبح شكلية مظهرية لا تأثير فيها لقوله تعالى (افتكرهوا الناس حتى يكونوا مؤمنين .....) الآية
وقوله تعالى (لست عليهم بمسيطر ...) الآية . وقوله تعالى (لا إكراه في الدين ...) الآية .
وقوله تعالى (ولو كنت فظ غليظ القلب لانفضوا من حولك ...) الآية .
ومن هنا نعلم حقيقة الصراع الطبيعي بين مكونات النفس البشرية , المتمثلة بين الروح ودوافع الخير فيها , والجسد بنزواته ومنازعاته الغريزية بما يحتويه من مكونات النفس الظاهرة , ما جعله محل الحراك والتفاعل المحسوس فهو يتعب ويمل ويفرح ويعاني وله احتياجاته المباشرة , لذا فانه يحتاج إلى داع للخير برفق ورحمة , لقوله صلى الله عليه وسلم (ما دخل الرفق في شيء .....) الحديث . وقوله (إن للنفس إقبال وإدبار .....) الحديث
أما القسوة والتشنج والعصبية فلا تورث إلا الجفاء والتباعد . ومنها الأسلوب القسري للعبادة الذي حولها إلى حركات شكلية بعد أن أضعف الإكراه حضور الروح فيها , فلم تعد تؤثر في وجدان مؤديها أو تنعكس على معاملاته ؟!
ومن هذا نشأ جيل لا يعرف من أسلوب الدعوة إلا الفرض بالقوة فازداد تشدده بتراكم الحال والأحوال حتى أخذه التطرف من أوسع أبوابه ؟ فبدأ يستعمل العنف كطريقة لم يتعلم أو يرى غيرها !وكلما نفر الناس من أسلوبه كنتيجة طردية ازداد عنفه فما كان من بعضهم إلا الخروج على أهله وأبناء وطنه بالتكفير والتفجير!؟

وهنا يأتي دور هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر , لتطور أدائها وتغير من أسلوب عملها القسري في الدعوة لتسلك مسلك الترغيب في العبادات وفي عمل الخير بشكل عام مع استعمال الوسائل المؤثرة والفاعلة في نفس الإنسان ووجدانه ؟ وإلا فان الأمر سيزداد سوأ وسينعكس على الدين وعزوف الناس عنه بسبب أسلوب الدعوة إليه !

عليه فان هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطالبة بان تتعامل مع الإنسان من منطلق العلم بمكونات نفسه البشرية وصراعها الطبيعي بين القيم الروحية والغرائز الجسدية بميزان العقل الذي منحه الخالق قدرات كاملة للتعامل مع دوافعها ونزعاتها .
وليُعلم أن صراع الإنسان مع مكونات نفسه يعد من أسرار الأمانة التي تحملها الإنسان في دنياه , فكونوا عون له على أدائها بتوازن يدرك تقلبات النفس البشرية , وليعلم أن اللين والرحمة أقرب طريق لها , لان روح الإنسان من نفخ روح الله الذي أحياها وزرع فيها الخير والرحمة والعاطفة لتكون غذاء روحه وأساس ضميره الحي .
وتفهموا وافهموا قول الرسول الكريم المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم (إن للنفس إقبال وإدبار فاغتنموها عند إقبالها ودعوها عند فترتها وإدبارها) الحديث . وفي هذا باب لعلم النفس من جانب العبادة وعلاقتها بالإكراه

ومدى تأثيره عليها , فالعبادة راحة للنفس وإذا فرضت بالإكراه والقسر فان النفس تنفر منها وكأنه إملاء و قهر ناتج بسبب الداعي الذي لم يراعي ظروف النفس وتقلباتها ؟!

وهذه التراكمات بأبعادها النفسية والحسية ناتجة عن اتكال أهل العلم الشرعي الذين ركنوا إلى النقل ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث والاستنباط بوعي وفهم يدرك كيف يتعامل مع الموروث في ظل المتغيرات الحديثة ويستفيد منها لينشأ برامج تتفاعل معها بتوظيف يخرج الموروث من جموده ويحقق أهدافه ومقاصده .
فتعطل فقه الواقع الفاعل وعلم الاستنباط الذي يربط بين ظروف الحياة ومكونات النفس , ليصل إلى المقصد في التوجيه فيخرج أحكام ونظم مستمدة من أصل التوجيه الشرعي ومتفاعلة مع مستجدات الحياة .

ومن ذلك وبناء عليه فإن نظرية الفطرة الإنسانية يمكن أن تكون مفتاح لتجاوز كثير من التحديات التي تواجه الهيئة بحيث يمكن لها أن تستخلص من عمق دلالة النظرية برامج علمية ورسائل توعوية بطريقة قادرة على تحريك الجوانب الفطرية في روح الإنسان أينما كان دون أن تعمد إلى الإكراه القسري !.
فعندما تتضارب الآراء وتتناقض التوجهات وتضرب الازدواجية أركان الانجازات , يضيع الإنسان فتفقد القيمة وتتبدد القيم !
و إذا تحدثنا عن القيمة والقيم فإننا هنا نستحضر تأثيرها على الإنسان , فإذا كانت مجرد تصرفات شكلية وأمثال قولية مجردة من المضمون التفاعلي بين غريزته وفطرته فيزنها بميزان العقل المدرك لما يحيط به من مؤثرات تمثل جل حياته ومعاملاته , وإلا فإنها ستبقى مجرد شكل لا مضمون فيه ولا تأثير ايجابي ترتجيه .
وهذا ناتج عن تعطيل الفكر الذي يحول حياة الإنسان إلى تقليد محض ؟ يصيب جميع شئون حياته حتى التصرفات والعبادات تكون تقليدية مجردة من مضمونها الروحي المتفاعل مع الجسد بتوجيه العقل (مصدر الفكر والتوجيه) .
و ينسحب ذلك على العادات و المعاملات و الأعمال سواء كانت خيرية أو ربحية فتجدها تقليدية مكررة لا تختلف عن بعضها إلا في الشكل والاسم ؟ فتفقد القيمة و تتلاشى القيم عندما يخسر الإنسان مركز كرامته ونور عقله المتمثل في فكره المحرك لتوجهه !!
ومن التناقضات الصارخة في جانب هام وحيوي لقيم الإنسان الروحية , أن تجد كثير من المتشددين بل حتى من الناس المعتدلين يتعاملون بأسلوب عنيف ومتشنج في تعاملاتهم ونظرتهم للآخر, حتى في الجانب الدعوي أخذ مأخذ يسيء إلى مضمونه الرحيم ؟ فأين تأثير العبادة المتفاعل مع الروح والمنعكس على الأسلوب والمعاملة الرحيمة ؟ والأشد من ذلك خطورة أن تلصق هذه المعاملات والتصرفات باسم الدين ؟

أما المعاملات الاقتصادية والنظامية والاجتماعية , فقد دبت فيها الأنانية والتفريط في الحقوق فألبست العادة لباس العبادة , فضاعت القيمة وتبددت القيم ! فكيف ستحمي قيمة فرط فيها إلا بمراجعة الطريقة التي يتعامل به على أساسها وهي تنقض مضمونها !!؟

فالقيم إذا مورست بطريقة عملية خالية من الازدواجية والتناقض لتكون قادرة على إحداث التكامل الوظيفي وتنمية الوعي الثقافي بتفاعل اجتماعي يرتكز على القيمة الإنسانية , فإنها كفيلة بحماية نفسها ؟
أما إذا حلت الازدواجية والتناقض وأهمل الإنسان لفترة طويلة حتى شكلت المفاهيم الخاطئة أسلوب حياته , فان أمر كهذا لا يستحق الحماية كما أنه يتعارض مع ابسط حقوق الإنسان ؟
ومن ذلك نستخلص نقطتين رئيسيتين شاملتين :

- ☑ أن سبب التهاون أو النفور من القيم المحلية ناتج عن عدم قدرة المعلم أو الموجه من أن يستخلص أسلوب يستطيع من خلاله أن يغرس القيم والمبادئ في النفوس بشكل يدفع الروح بأن تتفاعل معها , فينعكس ذلك على الجوارح بإحساس عاطفي . فيتحرك العقل بالتفكير فيها ومدى أهميتها , وهنا تحضر الروح التي هي من نفخ روح خالقها , فتعلم أن العبادة هي حق الهي تعبدي فيه حكمة ورحمة للإنسان . وبذلك يكون حضور الروح في أداء العبادة أساس في تأثيرها الأخلاقي الملهم للقيم .
- ☑ أن التطرف الديني ناتج عن الأسلوب القسري في الدعوة إلى العبادة , وما ينتج عنه من تعد مباشر وقهر للروح المكرهة, فيسبب النفور من البعض ويزيد البعض الآخر تشدد يأخذ بتراكماته إلى حدة الغضب فيندفع إلى العنف ويتحول بشكل مفاجئ إلى التطرف الممتد من الأسلوب القسري في الدعوة إلى العبادة . ولنتذكر قوله تعالى (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) الآية . وقوله تعالى (لست عليهم بمسيطر) الآية ولنستحضر قول الرسول الكريم (إن للنفس إقبال وإدبار فاغتنموها عند إقبالها ودعوها عند فترتها وإدبارها) الحديث .

المحور الثالث

رصد وتقويم

يصطدم مصطلح التطوير و التغيير بنظرة مشوهة ناتجة عن عسر في الفهم يدفعه تشكيك يقفز على النوايا , دون ان يكون هناك معرفة بمجمل الأمور و منطلقاتها العلمية والأدبية حتى يكون مؤهل للحوار والمناقشة , وذلك لأن الغالبية ناقلة للعلم مقلدة ولا تمتلك أسس فكرية يمكن أن تتفاعل من خلالها في ظل التطور المطرد حول العالم .
وهذا ما جعلنا نعيش واقع نعجز حتى عن وصفه أو التعبير عنه بشفافية وموضوعية بسبب تراكمات مشاكله ومحاذير جوانبه المصطنعة من الفهم الواحد للقيمة والقيم ؟
فالدعوة للتغيير أو التطوير وفق ما تقتضيه ظروف الحياة يبدأ بتطوير الفهم ليتحرك الفكر و ينضج العقل فيتفاعل مع محيط عصره و أدوات زمانه بوعي ثقافي منتج , حتى لا نخرج من تقليد موروث منغلق بتراكماته المتشددة إلى تقليد حديث يتبع الهوى ويذيب الهوية فيزداد الوضع سوأ وتعقيداً ؟!
فنكون كمن خرج من جمود القديم إلى متاهة الحديث كثقافة لا تتعامل إلا مع المظهر دون مقارنة ومعالجة لمضمون المخبر والمقصد بكل ما يحمله من انعكاسات او قد ينتج عنه من ارتدادات ؟

التربية والتعليم

يعتبر أسلوب التربية المسئول الأول عن نمو العقل بشكل طبيعي من الناحية النفسية والتعليمية بكل مقوماتها وأركانها كما تكون طريقة التعليم هي المسئولة عن تحديد مدى فاعلية الحراك الفكري لدى الإنسان .
وإذا تحدثنا عن التربية والتعليم فإننا نوجز مشاكلها في زاويتين :
- ☑ معالجة أسلوب التربية الجاف المائل إلى العنف بوضع نظم تحدد المسئولية الاجتماعية والتزاماتها .
- ☑ مراجعة طريقة التعليم الحالية ليتحول من التلقين المجرد إلى طريقة التعليم التفاعلي الذي يساهم في زرع الثقة والحراك الفكري .

لذا فان الأمر يحتاج إلى مراجعة شاملة لأسلوب التربية وطريقة التعليم من جذورها , و وضع نظم تحدد المسئوليات الاجتماعية و قوانين تضبط الآداب العامة والتزاماتها ؟!
بحيث لا تقتصر المراجعة على مستوى المناهج المدرسية فحسب , بل يأتي على رأسها وفي مقدمتها التوعية التربوية للأسرة و التأهيل العلمي والمهني للمعلم مع البرامج الاجتماعية والاقتصادية الفاعلة للنهوض بالقيم والمبادئ الإنسانية التي تعد أساسا ومنطلقا لفهم التوجيهات الربانية والتفاعل معها .
وليتدبروا قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم ...) الآية .
فالدين سكون للروح و طمأنينة للنفس ... ولم يكن عنف وقسوة أنتجها الفهم الخاطئ المتسرع , الذي أوجد فكراً متشدداً ينزع الدين من أساسه الإنساني الرحيم .

الثقافة المتصالحة

تعتبر الثقافة المتصالحة مع نفسها والمتفاعلة ضمن محيطها المحلي وقطرها الإقليمي وبعدها الدولي , هي الكفيل بان تحقق الأمن الاجتماعي بوعي شامل يؤدي إلى شيوع ثقافة الحوار بآدابه ومعاملاته وترتكز على الحرية الشخصية ما يمكن الأجهزة النظامية من إيجاد آلية فاعلة للرقابة والمحاسبة , في ظل بيئة تبعث بالثقة المحفزة للعمل والعطاء فتتفاعل الجموع بإعداد البرامج العلمية والعملية التي تدفع بالإنتاج ليصل إلى أقصى غاياته .
وبذلك توضع اللبنة الأولى لحماية المجتمع وحصانة الفرد من أي مؤثرات تقودها أصوات شاذة أو متطرفة سواء كانت ناشئة أو قد تنشأ في المستقبل , لأن المجتمع بوعيه سيكون أول من يقف أمامها ويتصدى لها فتتلاشى وتضمحل

كما تعتبر النظريات الفكرية التي توازن بين الحديث والموروث مطلب مهم وحاجة قصوى كي لا يكون الأمر عرضة لطرح غير متوازن ما يثير النزعات العدوانية غير المبررة إلا من طرح غير موضوعي أو فيه مسحة إقصائية تواجهها ثقافة متواضعة قابلة للتأثير العاطفي المخلوط بعسر الفهم والتشدد فيحدث الشقاق والنزاع .
ولكي توجه رسالة تثقيفية عن الأدوات والنظم الحديثة على أنها من المتغيرات الطبيعية للحياة , وأنها ليست إلا جملة من المركبات الطبيعية لحقوق الإنسان وخاضعة للانتقاد ضمن معاييرها الأدبية والعلمية , وان عمق مقاصدها موجودة في التعاليم الدينية بفهم متزن غير موجه أو متعصب .

وهذا يتطلب تحرك مبني على عوامل ومؤثرات ذات فاعلية مباشرة وغير مباشرة , لإحداث برامج توعوية علمية يصاحبها مشاريع عملية منطلقة منها وقادرة على ترسيخ أهدافها ومبادئها , بفكر متزن يقبله العقل ويتفاعل معه وقابل بان يقدم من خلاله برامج إعلامية مرئية ومقروءة ومتصفحة و كذلك مشاريع عملية فاعلة ومؤثرة على المستوى المحلي وقابلة للانتشار والتأثير العالمي , فيكون ذلك بمثابة الأسس والقواعد الفكرية العالمية ذات التأثير المحصن للعقل من ملوثاته وباعث للقناعة والثقة به .

فالإسلام متقدم بأزليته وقيم تشريعاته القادرة على التكيف مع متغيرات زمانه بما يتمتع به من مقومات تعالج خللها وليس مسايرا لنظمها المتعارضة مع حقيقة نفعها وجدواها . فما بين عموم اللفظ وخصوص المعنى , حرف ودلالة تحتاج إلى استنباط واستنتاج يربطها بما له علاقة بها فتتضح الصورة وينكشف المقصد , وفي ذلك باب واسع ومجال خصب لنمو الحراك الفكري المستنير .....

وهنا يأتي دور المجتمع المدني بمؤسساته التربوية وفعالياته الاجتماعية وبرامج التوعية والتعليم والندوات وخطب الجمع وقاعات المحاضرات , لنشر روح التسامح والتفاهم التي تشيع ثقافة الحوار .
و للتأكيد على أهمية دور المسجد في ساحة العمل الاجتماعي لتفعيل البرامج الثقافية والمناسبات الاحتفالية ذات البعد الثقافي والديني وأعمال الخير والتفاعل مع المؤسسات التعليمية والاجتماعية الأخرى ضمن محيطه الاجتماعي ما يدفع بروح التعاون والتكافل والتصالح , ويحصن المسجد من أن يكون نواة للخلايا المتشددة .

نظريات جامعة

للحديث عن الإنسان وأسلوب حياته المعيشية بكل ما يترتب عليها من قيم وأخلاقيات ونظم فإننا نحتاج إلى سرد لمراحل نمو المعرفة لديه على مر العصور والأزمنة بكل تراكماتها وانعكاساتها وهذا يطول شرحه .
لذا نتحدث عن آخر ما توصل إليه علم الإنسان من نظريات شكلت أساليب يرى أنها الأفضل لحياة طبيعية يمارس من خلالها كامل حقوقه ويلتزم بواجباته تجاهها كما تختلف الأمم والشعوب في هذا التوجه ألتنظيري .
وبعد أن فرضت أدوات العصر الحديث بتداخلاتها وارتباطاتها المصيرية على المستوى الاقتصادي والسياسي على الشعوب والأمم نوع من التوحد بشكل عام في نمط وأسلوب الحياة بما تحمله من قيم وأخلاقيات ومعاملات دفعت البعض إلى البحث عن نظريات تقارب مختلفة , ومن أهمها نظرية النسبية الكونية التي توصل إليها الغرب ليتحرك على أساسها مع الشعوب والأمم الأخرى على اختلاف مشاربها وتنوع تقاليدها المكونة لثقافتها وأسلوب عيشها وتعاملها ليحدث تصالح ثقافي وتنوع حضاري يساهم في دفع عجلة الإنتاج الصناعي والفكري لديه .

تعريف نظرية النسبية الكونية

[أن ما يناسبنا يمكن أن يناسب الآخرين , وأن ما يناسب الآخرين يمكن أن يناسبنا ...؟]
وفي هذا شيء من الحيادية الظاهرة والحجة التي يدرك مؤسسها كيف يتحرك من خلالها ...!
ولكي نتعمق في فهم مدلولاتها والنظر إلى أبعادها من منطلق المقارنة والمقاربة والمعالجة , فكان لابد من إيجاد نظرية مكملة لها ومحددة لتفاصيلها فوضعنا تعريف لنظرية الفطرة الإنسانية لتكون مركزا توافقي وعنوان حضاري

تعريف نظرية الفطرة الإنسانية

[بين الروح والعقل والجسد علاقة وجدانية وتفاعل غريزي تدور في فلكها توجيهات ربانية لتنمية الفطرة الإنسانية التي ولد عليها .]
وهذا ما يحدث توازن طبيعي بين الروح والجسد بميزان العقل الذي يحتاج إلى توجيه فكري وعلم أدبي وقيم أخلاقية ترتكز على الحقوق الأساسية للإنسان , ليكون قادر على كبح جماح المادة الجسدية حتى لا تطغى عليه وتستعبده فيتمرد على الآخرين و يغتصب حقوقهم .
و في الوقت نفسه فإنها تمده بالحصانة ضد الاستمالة إلى توجيهات روحية بفهم متطرف فيعمد إلى تعطيل الحياة بفرض نظريته الأحادية الرافضة لأدواتها ومتطلبات متغيراتها الطبيعية .
وبذلك تؤسس النظرية ثقافة سلمية بتوافق بين الروح والجسد وتصالح بين الحديث والموروث .
ومن هذا المنطلق تم الجمع بين نظرية النسبية الكونية كقاعدة و نظرية الفطرة الإنسانية كمحور مكمل و مدخل للحوار حول تفاصيل نظرية النسبية الكونية .

التكامل الحضاري

لقد وضعت منظمة جواب العالمية التعريف الفكري لنظرية الفطرة الإنسانية بكل ما يدور حول النفس البشرية ويرتبط برغباتها الجسدية المعيشية وقيمها الروحية الملهمة من خالقها كمرتكز رئيس لنشأتها ومغذ أساسي لضميرها الحي ليكون بمثابة التعريف العلمي ذو الفاعلية العملية و العقلانية المتزنة بميزان المهام الوظيفية لعقل الإنسان بين الغريزة والفطرة . ليكون التعريف منطلق يبعث بفكر إنساني عقلاني متزن وقابل للتلاقح المعرفي والتكامل النظري المؤسس لمبدأ حقوق الإنسان وتقييم أدائها .
ومن هنا أتى الجمع بين نظرية النسبية الكونية و نظرية الفطرة الإنسانية لتحديد المسار والوجهة بعلم ووعي شامل لمقتضاها .
و كما هو معلوم بالضرورة لمن كان يؤمن بان ما لديه حق وعدل للبشرية فعليه أن يفهم و يتفهم ما يدور حوله ويتعمق فيما لديه من قيم إنسانية فيقدمها بأدوات عصرها ليخرج من مكنوناتها نظم ونظريات تنطلق من مقوماتها ليشارك العالم في بناء الحضارة الإنسانية المعاصرة .

وبهذا الحراك الذي يرتكز على عمق فكري منطلق من فهم متجذر لأسس التوجيهات الربانية لحياة أفضل للبشرية بتوظيف ايجابي لأدوات العصر الحديثة يمكن للإنسان أن يتجاوز الكثير من المعوقات دون انزلاق مقلد أو انغلاق متجمد .
فالعالم اليوم يسمح لمن لديه نظرية علمية أو طرح موضوعي بأن يقدم ما لديه بوعي ملتزم و متفاعل مع أدوات العصر ونظمه الحديثة ليساهم بايجابياته في تطوير المفاهيم , كما يمنح الفرصة لمن لديه اكتشاف علمي او نظري يعالج القائم او يضيف عليه بأن يطرح ما لديه بالآليات المتبعة .....

ميزان الفطرة

يمكن للسلم الفكري أن يخفف من وقع ما هو قادم من تحولات تنظيمية تفرضها المتغيرات بعواملها المختلفة .
من خلال معادلات مستمدة من نظرية الفطرة الإنسانية بكل أبعادها الثقافية وانعكاساتها العملية وعمقها الديني لتكون الميزان القادر على التوفيق بين توجهين متضادين في مظهرهما و متنافسين في مضمونهما , لتكون المقاصد جامعهما للحوار من منطلق القواسم الطبيعية للحياة دون انغلاق أو تبعية . ما يساهم في نشوء وعي ثقافي متصالح مع نفسه ومتفاعل مع محيطه المحلي المتصل ببعده الدولي , فيزدهر الإنتاج في ظل حراك حضاري اجتماعي منسجم يسوده الحوار والاحترام , فتتجذر الهوية وينجلي الخوف .

ولكي نضرب مثل يوضح مفهوم السلم الفكري ومنطلقه العملي .
فنقول :
إذا كان الإخوة من بيئة واحدة وبيت واحد وأم واحدة وأب واحد ومعلم واحد , ويختلفان في التوجه والفكر ؟ الذي يحدد لكل واحد منهما أسلوب حياته .!
فماذا يحتاجان لكي يعيشا بسلام واحترام ؟

هل إلى أمن لـ فكر تتناثر معلوماته في كل مكان !
أم إلى سلم لـ فكر قد تبلور في الذهن وتمثل بالعمل ؟
و لكي يعيش الاثنين في ظل أمن اجتماعي يسوده الحوار والانسجام دون تعصب أو تشنج لا ينتج إلا العنف , فإنهما بحاجة إلى سلم فكري يبعث بالحوار والاحترام المتبادل الذي يوجد الأمن الاجتماعي .
وهذا يحتاج إلى وعي ثقافي يقدم من خلال برامج متفاعلة بما تتطلبه من إثارة جاذبة للنفس والعقل والروح , ليتلقى العقل ويحلل بحرية كاملة , مع التوجيه والتنبيه وتأمين البيئة الايجابية التي تساعده على فهم وفرز المعلومة ليكون تفاعله معها سليم .....
ما يتطلب تفعيل سريع لمؤسسات المجتمع المدني ليقوم بدور التوعية الشاملة والمتوازنة بين الحديث والموروث حتى لا يصطدم بالازدواجية والتناقضات ؟!

عوامل التأثير

للسيادة عوامل مؤثرة و يأتي على رأسها وفي مقدمتها العمق الثقافي بمكاسبه الاقتصادية وانعكاساته الاجتماعية وبعدها السياسي المنسجم مع ركائزها .
فكلما كان هناك تنوع ثقافي يدفعه حراك فكري ناضج ومتزن , كان اقرب الى الثقة بفتح باب المشاركة الفاعلة على جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية , فتبعث مؤسسات المجتمع المدني المحفزة على العطاء والإبداع كبيئة حضارية لنمو المعرفة وتطورها .

مفهوم الأمة من أقطارها

يمتد مفهوم الأمة من القطر في الخصوصية إلى الأمة في المصير , فكل قطر محلي أو إقليمي له خصوصية ثقافية يجب احترامها وعدم إذابتها في الكل . لقوله صلى الله عليه وسلم (مثل أمتي كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .) الحديث
والعضو هنا بمثابة القطر سواء كان محلي أو إقليمي له خصوصيته و نظامه ومن هنا نفهم معنى الأمة بتلاحمها التفاعلي , وليس بالضرورة إذابتها في كيان واحد ؟

مقارنة

أهم ما يميز النظم الحديثة [الحقوق والمعاملات والآداب العامة بحرية تتمتع بوعي ثقافي]
وهذه المكاسب ناتجة عن نظامه الديمقراطي بآلياته البرلمانية ونظرياته الإنسانية [فاللبرالية] معايير حقوقية و [العلمانية] توازنات عرقية ودينية تساهم في إحداث تناغم وانسجام سياسي محصن من تجاذباتها وصراعاتها مع الاقتباس من بعض قيمها وأصولها .
و من أهم مقومات ومكاسب النظام البرلماني :

- ☑ التنافس من منطلق مفهوم [التدافع] .
- ☑ حق المشاركة لجميع الأطياف والتوجهات .
- ☑ حق تقرير المصير.
- ☑ الرقابة بآلياتها الفاعلة .
- ☑ المحاسبة .
- ☑ المتابعة وتقييم الأداء .

■ ومع كل ما يتمتع به النظام الغربي من مقومات اقتصادية ومكاسب حقوقية إلا انه يقع في تجاوزات أخلاقية بسبب التركيز على الآليات والتنظيمات ذات النظرة المادية لتحديد المسئوليات والالتزامات , خاصة فيما يتعلق بالأسرة وعلاقاتها بعد ان حُمل الزوج التزامات لم يعطى صلاحيات كافية للوفاء بها فيحدث الإشكال والضرر كما أن آليات النظام الجنائي يقع في بعض جوانبه تناقضات قاهرة , ما بين الشبهة في الجنحة والشبهة في الجناية وتحميل بعض الأمور أكثر مما تحتمل وفي الوقت نفسه التساهل في أمور لا تقبل التساهل ؟! ما يحتاج معه إلى معالجات وتقييم لأداء النظم وثغراتها . مع العلم أنهم يقومون بكثير من هذه المعالجات الظاهرة في برامجهم التوعوية والإعلامية . [مع وجود تجاوزات لا تحسب على أصل النظام بقدر ما هي أخطاء فردية]

عليه فان الأنظمة التقليدية تواجه تحديات صعبة نحو التقدم والنهوض الحضاري , ما يجعلها بحاجة إلى توازنات فكرية قادرة على توظيف الأدوات والنظم الحديثة دون الدخول في ازدواجية متضادة او تناقضات معطلة أو تبعية تذيب هويتها وتلغي مقوماتها التي تميزها بحراك يحتاج إلى أن يجد له منفذ ينطلق من خلاله . لتخرج من دائرة الجمود والخوف والتردد إلى دائرة التفاعل والإنتاج , ما يمكنها من المشاركة في تحرك الشعوب والأمم لصناعة الحضارة الإنسانية .

☑ وهذا ما يطرحه مفهوم السلم الفكري بكل ما يتمتع به من نظريات فاعلة و برامج عملية منتجة , تدفعها ثقافة متصالحة مع نفسها ومتفاعلة مع محيطها بتنوع ثقافي وانسجام سياسي يدفع بالعطاء والإنتاج ليصل إلى غايته .

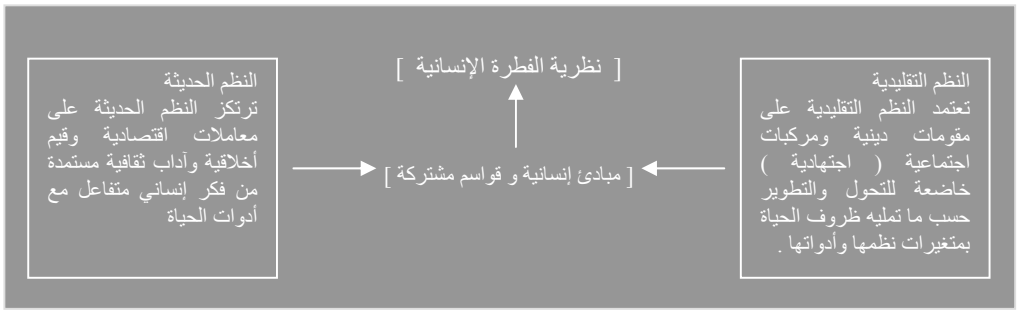

الثقافة بين الحديث والموروث

تعتبر الثقافة انعكاس طبيعي لظروف الإنسان المعيشية بتراكماتها المعرفية من قيم وآداب عامة تحكم حياته على مر العصور والأزمنة , وتتعرض هذه العادات والمعاملات إلى متغيرات مصاحبة لتطور حياته أو تحولها , وهنا تحدث بعض الآراء المختلفة حول أهمية هذا التحول .

فإذا كان التحول له علاقة شاملة لجميع شئون الحياة ولا يمكن تجاهله أو التخلف عنه , فان الأمر يحتاج إلى معرفة لكيفية التعامل مع مستجدات علم الحياة الحديثة بما تحمله من انعكاسات وارتدادات .

وهنا نؤكد أن النظم الحديثة لا تكفي وحدها مهما كانت شاملة لجوانب الحياة لأنها تتعامل مع الإنسان كمسئوليات والتزامات وهذه النظرة المادية تحتاج إلى توازن مفعم بالقيم الروحية .

ومثال ذلك الأنظمة المدنية الحديثة عندما ركزت على الجانب المادي للالتزامات والمسئوليات على حساب القيم الروحية والجوانب العاطفية حتى أفقدت الحماية والحصانة الذاتية للفرد و الأسرة من أن يعتدي احد أفرادها على الأخر , ما يثبت عدم قدرة الأنظمة المدنية الحديثة من حماية الفرد و حصانة الأسرة دون أن تتوازن مع التوعية الشاملة وبث روح العاطفة الإنسانية بين أفرادها .

وهذا يحتاج إلى إحياء الضمير الإنساني الذي لا يتفاعل إلا مع القيم الروحية الكامنة في الفطرة السوية التي خلق عليها وإلا فان القوانين لوحدها لن تستطيع أن تمنع حدوث الجرائم البشعة التي قد تفجع بها البشرية خاصة عندما تحدث بين أفراد الأسرة التي كان من المفترض أن يسودها الحب والعطاء والرحمة والمودة .

عليه فانه لابد من مراعاة جانب التوعية الدينية التي تساهم في إحياء الضمير الإنساني وتحرك مشاعر العاطفة الرحيمة عند الحاجة إلى وضع النظم والقوانين المدنية .

وهنا نستحضر الدور التكاملي بين تأثير العبادة وأثرها الروحي مع الأحكام التي تنظم العلاقات وتحمي الحقوق ليستنبط منها آليات ونظم مشتقة من مقاصدها .

وهذا يحتاج إلى استثمار فكري لتوظيف النظم والأدوات الحديثة لتخدم المقاصد الموروثة , لا أن تقف عند منقولها الخاضع لأدوات عصرها القديمة .

ومن هذا المنطلق فان ثقافة السلم الفكري المتزن بين توظيف الايجابيات وتفنيد السلبيات موروثة كانت أو حديثة محلية أو عالمية لمعالجة المفاهيم الموروثة و تقويم النظم الحديثة , يمكن له أن يساعد في معرفة المستجدات دون تخوف أو جهل بآلياتها العملية ومعاملاتها الاقتصادية ما يساهم في نشوء ثقافة متصالحة مع نفسها .

وهذا ما يؤدي إلى الأمن الاجتماعي بما له من انعكاسات على الإنتاج الاقتصادي والانسجام السياسي , فتشيع لغة الحوار الهادف للنقاش مع احترام الخلاف , فيجد من يملك مسوغ علمي أو نظرة أدبية قدرة على تقديمها بشكل يراعي حق خلاف الرأي فيها بطرح موضوعي يراعي جوانبها وانعكاساتها متلافيا ارتداداتها , فيكون مؤثرُ بها وقادرُ على التغيير من خلالها .

وهذا يحتاج إلى تهيئة الظروف الإنسانية المناسبة , والبيئة العلمية والعملية المؤثرة مع التوعية الشاملة , وتدع العقل يتفاعل معها ويحدد مسار اتجاهه فيها دون وصاية أو إكراه .

ومن هذا المبدأ فان السلم الفكري ينطلق من فهم عميق للتوجيهات الربانية التي بينت للإنسان ما له وما عليه بدلائل وأدلة تهديه , كما حذرته من مصائد تشقيه , ثم أوكلت الأمر لتفاعل عقله المحرك لنتاج فكره ومحصل عمله . بعد أن أصبح يملك حق الاختيار بإرادة كاملة وحرية ضامنة لاستخلاص النتائج وفهم المقاصد . وبذلك يتضح الفهم العميق للعطاء المتبادل كأساس للعلاقة المطلقة بين الإنسان وغيره .

فمفهوم السلم الفكري يمكن أن ينتج آلية متزنة وقادرة على التعامل مع العقل بكل احترام وحرية من خلال ما منحه الله من قدرات تتفاعل مع مكونات النفس البشرية بين الروح والجسد كميزان حكيم ومرشد يوفق بين مؤثراتها القولية والفعلية , بما يتلقاه العقل من معلومات تعزز من دوره الطبيعي كميزان متزن بالمعلومة الحقيقية فيؤثر ذلك على سلوكه ومعاملاته ويقوم نظرته للأمور بمسئولية والتزام , ومن هنا تنشأ الثقافة المتصالحة مع نفسها .

التنوع الثقافي [نظرة ومثال]

يعتبر التنوع الثقافي إثراء للحضارة الإنسانية بتلاقح معرفي وتزاوج فكري ينتج إبداع وسلوك حضاري , وهنا نطرح مثال عظيم لدى المسلمين إذ يتمتعون بفريضة الحج التي تجمعهم في مكان و زمان واحد على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وهويتهم الثقافية من شتى بقاع المعمورة , ما يشكل فرصة طبيعية لتقبل التنوع الثقافي على المستوى المحلي .إلا أن عدم الاهتمام بهذا الجانب الحيوي والمكسب الكبير , بالشكل الذي يمكن ترجمته إلى برامج ثقافية متنوعة تأخذ امتدادها وتطورها الطبيعي , جعل هذه المناسبة العظيمة تمر كل عام مرور الكرام .....؟!

فان البشرية تتمتع بتنوع حضاري يتمثل في ثقافاتها المختلفة ليكون التلاقي بينها عبارة عن تزاوج وتلاقح يثري الحياة البشرية بتنوع الإبداع الذي يعد امتداد طبيعي للتفاعل الفكري . وهذا ما يؤدي إلى التطور المنطلق من عمقه المحلي بتقبل لمؤثرات نظم و أدوات حديثة غير قسرية , فالإبداع نتاج طبيعي للتفاعل الفكري .

كما يعد التنوع الثقافي عنوان للثقافة المتصالحة مع نفسها والمتفاعلة مع محيطها , وهذا يعد من أهم المقومات الحضارية للعالم المتقدم , والذي ساهم في نهضته وتطوره فأثر على العالم بمنتجاته الصناعية والفكرية .

وأما النظرة الثقافية ذات الطابع الأحادي المنغلق فإنها لا تحاصر إلا نفسها فتتآكل بمتناقضات تعجز عن مواجهتها أو حلها فتتلاش وتنقرض .

فالتنوع الثقافي مكون رئيس وشرط أساس للبيئة الحضارية التي ارتقت بها الأمم المتقدمة بتصالح سلمي وتلاقح معرفي , حتى سادوا العالم بمنتجاتهم الصناعية ونظرياتهم الفكرية ومعاملاتهم الأدبية .! فكان التفاهم والحوار الذي جلب معه السلم الفكري والإنتاج الصناعي والتقدم الأدبي .

الحوار

[احترام متبادل , وتقبل للآخر]

الحوار يعني التفاهم .... لذا يعتبر مطلب حضاري وسلوك إنساني يعزز من فرص التقارب والتلاقح بين الثقافات والأعراق المختلفة , ما يساهم في نزع فتيل الصراع وينشر مبادئ السلام .

وليس من مبادئه وأخلاقياته إما أن تكون مثلي أو أكون مثلك ؟ فذلك هو القمع !

بل هدفه الخروج بقواسم إنسانية طبيعية مشتركة , تؤكد على احترام التنوع الثقافي المبني على وجهات نظر متباينة مع التجرد للأفضل .

ولكي نصل بالحوار إلى غايته وأهدافه فانه لابد من أن يكون شاملا لمبادئه ومحاوره التالية :

I. الاحترام المتبادل .
II. تقبل الآخر .
III. حق الخلاف في وجهات النظر المتباينة .
IV. قبول مبدأ التنوع الثقافي كإثراء حضاري وبيئة طبيعية لنمو المعرفة وتلاقحها .
V. التجرد للأفضل .

و هذه المحاور تعد تفاهم يأمل العقلاء بان يصبح واقع تعيشه البشرية .

و لكي نضع للحوار عنوان شامل لمبادئه ومعانيه فيمكن تعريفه بهذه العبارة [احترام متبادل , وقبول للآخر ...] ليكون معيار لتقييم الحقوق والمعاملات الإنسانية .
وأكثر ما يخشى من صراع التوجهات المتنافسة هو الدخول في دوامة الإقصاء , فتكون المعركة عنوانها (من يقصي من) فيهدر الوقت والمال دون طائل يرتجى ولا نتيجة تتوخى , فنخسر الزمان والمكان ولا ينفع الندم .
عليه فان التفاهم حول إطار يحترمه الجميع ويلتزم به الكل في أسلوب وطريقة الحوار , بحيث يبتعد عن الإثارة والاستفزاز أو المزايدة على القيم .

الحرية والأدب

إن للمعاملة أدب
إذا انتقص
قلت القيمة
واختلت المصداقية
وهنا تكون الحرية أدب والأدب حرية محصلها الوعي الثقافي .....

برامج عملية ومشاريع تنموية

ونظرا لاهتمامنا الكبير بهذا الموضوع الذي أصبح يمثل تخصصنا , ومبدأ لمنطلقنا الفكري ومؤسس لأعمالنا التنموية التي تضع البعد الإنساني والاجتماعي في صميم معادلاتها .

- ☑ ومنه أسست جواب العالمية كمنظمة معنية بالفكر الإنساني القابل للتوحد في مبادئه والتقارب في مقاصده , بين حقيقة الموروث ونتائج الحديث على حياة الإنسان .
  من خلال المقاربة والمقارنة والمعالجة لكل ما يؤثر ويتأثر به الإنسان في جميع شئون حياته من معاملات اقتصادية وعادات اجتماعية وآداب ثقافية , بمدخلات موروثة وأدوات حديثة .
  ومن ذلك وضعت نظرية الفطرة الإنسانية لتكون القاسم المشترك بين البشرية , فهي تدور حول مكونات النفس ومؤثراتها المحركة للقول والعمل بشكل تلقائي , من منطلق فطرته السوية .
  وبالجمع بينها وبين نظرية النسبية الكونية نتج مفهوم السلم الفكري كأساس لنظامها ومرتكز لبرامج أعمالها
- ☑ و بذلك يتضح الربط بين المشاريع التنموية ببعدها الإنساني والاجتماعي الفاعل لتترجم الفكر النظري إلى حراك حضاري منتج , فكان البرنامج الوطني للتأهيل الشامل [أعمال] نتاج عمل متكامل العناصر والبُنى المؤسسة لبرامج التنمية الشاملة , بكل ما يتمتع به من بعد اقتصادي وانعكاس ثقافي وتفاعل اجتماعي ....

هوامش الحداثة وأثرها على الثقافة التقليدية

عندما تتجه المجتمعات التقليدية إلى التعامل مع بعض إفرازات الحداثة أو شيء من هوامشها وتظن بذلك أنها تتعامل على أساس مقوماتها دون وعي شامل لأبعادها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية المنعكسة على الجانب الفكري . فإنها بذلك تبتعد عن أدبياتها الأخلاقية المقومة لآثارها السلبية في أعمال مشاريعها التنموية ما يؤثر على أمنها الاجتماعي والاقتصادي الذين يعدُ المحور الرئيس و المكون الأساسي لأمنها الوطني .
عليه فقد أسس البرنامج الوطني للتأهيل الشامل [أعمال] ليعالج المفاهيم المغلوطة في الثقافة التقليدية من الناحية الإنتاجية, , بتوظيف ايجابي للنظم والأدوات الحديثة و رؤية شاملة تتمتع ببرامج متقدمة لتؤسس مشاريع قادرة على تحقيق نقلة نوعية في تطوير النمط الفكري للفرد , بحراك حضاري مجتمعي متفاعل مع أدوات عصره الحديثة بوعي شامل لأبعادها الثقافية وانعكاساتها الاجتماعية ومكاسبها الاقتصادية وتأثيرها الأمني , من خلال برامج علمية وعملية فاعلة برؤية إستراتيجية متقدمة لتحول الفكر الثقافي المنتج إلى مشاريع واقعية ومؤثرة . ما يساهم في تطوير مناهج التربية الفنية لمرحلة التعليم النظامي بإدخال بعض البرامج التعليمية والتوعوية للمهن المختلفة بطريقة مشوقة ومحفزة على إحداث حراك فكري للأجيال القادمة , وهذا يعد مطلب سيساهم في تحديد توجهاتهم واكتشاف مواهبهم ما يؤمن لهم فرصة لتطوير مهاراتهم فيستفيدون منها في حياتهم العملية والمعيشية . ما يزرع في المتلقي أهمية العمل وقيمة الإنسان المنتج ليستثمر وقت فراغه بمهنة مفيدة ما يساهم في إشاعة أسس ومبادئ الثقافة المنتجة ابتداء من التعليم النظامي بمراحله الابتدائية مع التركيز على تهذيب السلوك والمعاملة بتجسيد واقعي و مشاركة فاعلة بين

المعلم والتلميذ مع إعطاء مساحة يعبر فيها التلاميذ عن ما يجول في أعماقهم بكل حرية مع المعالجة والتوجيه لزرع الأخلاق والقيم والخصوصية والاعتزاز بالإنجاز ما يورث الثقة في النفس بشكل يدفع بالعطاء والإبداع , وبذلك يمكن لنا أن نكون قد خطونا خطوة أولى نحو المسار الصحيح الذي يمهد لما بعده , لنخرج من دوامة التقليد والجمود إلى دائرة التفاعل والعمل .
فالإعاقة الفكرية الناتجة من ضعف مخرجات التربية والتعليم تعد السبب الرئيس لضعف القدرة على التعبير بطلاقة نفس واثقة وليست مهزوزة مقهورة من التخويف منذ الصغر فماذا أبقي لها لتقدمه ؟! لذا وجب تطوير أسلوب التربية وطريقة التعليم بشكل عاجل .

وهذه البرامج تعد من الخطط التوعوية والتثقيفية للبرنامج الوطني للتأهيل الشامل لتأصيل الثقافة المنتجة على المستوى الوطني كمرحلة تمهيدية لمشاريعه الاستثمارية , بالتنسيق والتعاون مع الجهات الرسمية المعنية كل حسب دوره وتخصصه ما يعزز من فرص الارتقاء بمستوى الشمولية والتكامل بين الجهات الرسمية كداعم ومنظم وبين القطاع الخاص كمنفذ ومشغل ما يرفع من معنويات القطاع الخاص ليطلع بمسئولياته الوطنية ومشاركاته الاجتماعية .

التنمية الشاملة :.
وعي ثقافي وحراك اجتماعي .

لقد أسس البرنامج ليعالج المفاهيم المغلوطة في الثقافة التقليدية المكونة للبيئة الاجتماعية المحلية , بتقديم البرامج والمشاريع القادرة على تحقيق نقلة نوعية في تطوير نمط التفكير لدى الفرد بحراك حضاري مجتمعي متفاعل مع أدوات عصره الحديثة بوعي شامل لأبعادها الثقافية وانعكاساتها الاجتماعية ومكاسبها الاقتصادية وتأثيرها الأمني ببرامج علمية وعملية فاعلة تتمتع برؤية إستراتيجية متقدمة لتحول الفكر الثقافي المنتج إلى مشاريع واقعية ومؤثرة ما يساهم في تقديم نقلة حضارية متوازنة بين الحديث والموروث نحو تأصيل الثقافة المنتجة . بتوظيف آليات العصر الحديث لتطوير النظم و الأدوات المبتكرة بمكونات محلية وليس التوقف عند استيرادها .

التأهيل مسئولية مشتركة :

عندما نتحدث عن التأهيل فذلك يأخذنا مباشرة للحديث عن أسلوب التربية التقليدي وأثره على النمو الطبيعي لعقول الناشئة وطريقة التعليم المعمول بها ومدى فاعليتها في نمو المعرفة المحركة للفكر والتفاعل مع الواقع لنقف عند أهم مكونات الثقافة المنتجة والتي تتمحور حول موضوعين هامين :

- أسلوب التربية
- طريقة التعليم .

فإذا كان أسلوب التربية جاف ومائل إلى العنف فان ذلك يعيق النمو الطبيعي للعقل السوي . وإذا كانت طريقة التعليم تعتمد التلقين مع التعنيف أحيانا فإنها بذلك تساهم في شلل وجمود الفكر الإنساني . وهذه العوامل تعد المسبب الرئيس لضعف مستوى الثقافة المنتجة المنعكسة عليها من البيئة الاجتماعية ذات الموروث الثقافي التقليدي الغير متفاعل مع متغيرات العصر بسبب الوقوع تحت مؤثرات اجتهادية متناقضة و مفاهيم محرفة وارتخاء وتكاسل له تراكمات محلية مغلوطة أنتجت سلوكيات ومعاملات منقوصة . ما يحتم ضرورة النظر في تحديث أسلوب التربية بالتوعية الشاملة وتطوير التعليم بطريقة متفاعلة يصاحبها حراك اجتماعي منتج من خلال البرامج الإعلامية الفاعلة والندوات المفتوحة والمحاضرات التي تعطي أهمية اكبر لرعاية الطفل وتنشئته .

البرامج التعليمية المقترحة :

برامج تعليمية تثقيفية لمختلف مراحل التعليم النظامي يبدأ من الصف الرابع ابتدائي إلى المرحلة الثانوية مع مراعاة الفرق في الفئة العمرية و مستوى الاستيعاب العقلي لحجم البرنامج الذي يتطلب أسلوب مشوقا و محفزا لتعلم بعض الفنون والأعمال الفنية والإنتاجية بحيث يمارسها ويقوم بتطبيقها من خلال مادة التربية الفنية لنحقق المكاسب التالية:

- الاستعداد النفسي والمعنوي لتحديد الرغبة والمشاركة في الأعمال الفنية ما يساهم في تعزيز الثقافة المنتجة
- الاستفادة من وقت الفراغ بممارسة بعض من الأعمال الفنية والمهنية خلال مرحلة التعليم النظامي .
- الاستفادة من مهنة يمكن أن يمارسها كعمل وظيفي أو يستفيد منها في حياته العملية للقيام ببعض الأعمال التي يحتاج إليها دون أن يضطر للاستعانة بالآخرين ما ينمي الوعي الثقافي في الاعتماد على النفس للقيام بما يمكن له أن يقوم به .
- المساهمة المباشرة في التمهيد العملي للمراحل التعليمية اللاحقة للتخصص في المجال الفني و التقني .

التوعية المتفاعلة :

- تقديم الندوات والمحاضرات العامة وإصدار المنشورات الإرشادية والتوعوية والكتيبات التعليمية في الصيانة المنزلية وكيفية العناية بحديقة المنزل مع دورات تعليمية قصيرة و مكثفة للرجال والنساء .
- تقديم دورات تعليمية لتكوين مشروع يدوي منتج صغير مع المساعدة في تمويل المواد المطلوبة للجادين في تنفيذ المشاريع المطروحة .
- دورات وندوات حول فن التسويق وكيف تستفيد من وقت فراغك بما ينفعك مع المساندة والدعم المالي للجاد والمجتهد.
- ندوات ودورات قصيرة ومكثفة لتعليم أدبيات الأعمال الفنية الخشبية والكهربائية وغيرها من الأعمال المفيدة والمنتجة مع الكتيبات والمنشورات التعليمية والتوعوية المبسطة ما يساهم في حراك مجتمعي منتج .
- تقديم الحوافز والمكافئات والجوائز في احتفالات دورية لمختلف المستويات بتفاعل مجتمعي .
- استقبال وتنظيم الرحلات المدرسية بمختلف الفئات العمرية والمستويات التعليمية للتعريف بدور البرنامج الوطني من خلال جولات حول مشاريعه وبرامجه مع التوعية و التحفيز .
- وهذه العوامل والمؤثرات يمكن لها أن تساهم في تطوير نمط التفكير لدى الفرد بتحرك مجتمعي حضاري متفاعل نحو تأصيل الثقافة المنتجة دون تفريط في الأسس والثوابت المحلية بقدر ما تعزز من أصالتها بتطوير مفهومها من خلال دلالتها التي ترسم نظم تحقق أهدافها .

منظمة الفكر الإنساني
[جواب] الإنسان قيمة وقيم .
هدفها : إحياء الضمير الإنساني .
منطلقها : نظرية الفطرة الإنسانية .

لقد أسست منظمة جواب العالمية , لتقدم تحليل للنظم والنظريات من منطلق المقاربة والمقارنة والمعالجة , لكل ما يؤثر ويتأثر به الإنسان في حياته العلمية والعملية القولية والفعلية , بما تشمله من قيم اجتماعية ومعاملات اقتصادية ومقومات ثقافية موروثة متداخلة مع نظم وأدوات حديثة مع التعريف للمفاهيم والنظريات الفكرية . فتقدم الإجابة على معاملات متضادة في أسلوبها ومتوافقة في كثير من مضمونها ومقصدها , وتحاور على أساسها بطرح علمي موضوعي ملتزم بآداب الحوار الذي تسعى المنظمة إلى أن يكون جزء من الثقافة الإنسانية حول العالم .

☑ جائزة جواب العالمية .
لتعميم مفهوم الثقافة المتصالحة بفكر إنساني متزن .
[للأعمال الأدبية والفنية والتوعوية]

globule ja’ wab
int’i idea organization
Mclean, VA 22102 –USA